

نُظْرَةٌ فِي الْمَأْسَاةِ وَالْمَظْلُومِيَّةِ فِي كَرْبَلَاءَ

حوار مع سماحة آية الله الشيخ

محمد جواد فاضل النكراني

انطلاقاً من رسالتها في ردف الحركة الفكرية، المتمحورة حول النهضة الحسينية، ذات الأبعاد المتعددة، والأطراف المترامية، ورصد كل ما هو مُثمر في أبعاد تلك النهضة، قامت مجلة الإصلاح الحسيني بإجراء حوار علمي، مع سماحة آية الله الشيخ محمد جواد فاضل النكراني، أستاذ الحوزة العلمية في مدينة قم المقدّسة، حول عنصر المظلومية والمأساة في واقعة كربلاء.

الإصلاح الحسيني: نرحّب بكم سماحة آية الله الشيخ محمد جواد فاضل النكراني، ونشكركم جزيل الشكر على إتاحة هذه الفرصة لنا، لإجراء هذا الحوار الذي سيكون - إن شاء الله - مفيداً، حول مسألة الظلم والمظلومية في كربلاء وبعض أبعادها.

الشيخ محمد جواد فاضل النكراني: اسمحوا لي بدايةً أن أعرب عن شكري وثنائي على المسؤولين المحترمين في مجلة الإصلاح الحسيني، التي أخذت على عاتقها بيان أبعاد النهضة الحسينية، وواقعة كربلاء، وثورة الإمام الحسين عليه السلام، واستطاعت بحمد الله تعالى إصدار بضعة أعداد، والإشارة إلى نقاط مهمّة، وأبعاد مختلفة حول نهضة عاشوراء.

مما لا شك فيه أن هذا الموضوع الذي تُثيرونه في سياق هذا الحوار لذو أهمية كبرى، وربما يمكن القول: إنه قلما جرى التطرق إليه في البحوث والدراسات التخصصية، ألا وهو دراسة نهضة الإمام الحسين عليه السلام من زاوية المظلومية التي تعرّض لها الإمام **الإمام الحسيني**: سماحة الشيخ، حبذا لو تعطينا لمحة عن موقف الدين الإسلامي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام من الظلم والظالمين.

الشيخ محمد حماد فاضل النكراي: التعرّض إلى موقف الدين الإسلامي ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، فيما يخصّ الظلم أمر في غاية الأهمية؛ إذ لدينا آيات كثيرة في القرآن حول الظلم والظالمين، ولا بدّ من الالتفات لها في هذا الصدد. ثمة آيات قرآنية متعددة دالة على أن أغلب أنواع العقوبات والعذاب الدنيوي الذي كتبه الله تعالى على الأمم السالفة، إنّما كان بسبب ارتكابها الجور والظلم، بمعنى أن الظلم أضحى منشأ للعذاب الإلهي في الحياة الدنيا.

فمثلاً الآية الشريفة: ﴿فَكَأَيُّ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾^(١)، وكذلك الآية الأخرى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعِقَابٍَ بَئِيسٍَ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾^(٢)، وغيرهما من الآيات، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَهْدِيكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣)، وقوله عليه السلام: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ﴾^(٤)، وكذا قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٥)، أي: إنّما أرسل عليهم الطوفان بعنوان عذاب إلهي؛ لأنهم اقترفوا الظلم. وغيرها من الآيات وردت جميعها في هذا الإطار؛ ومنه يتضح أن الظلم بنظر القرآن الكريم منشأ لنزول العذاب الإلهي في الدنيا، هذا من جانب.

(١) الحج: آية ٤٥.

(٢) الأعراف: آية ١٦٥.

(٣) الأنعام: آية ٤٧.

(٤) هود: آية ٦٧.

(٥) العنكبوت: آية ١٤.

ومن جانب آخر، هناك آيات ذكرت أن الله سبحانه يُعَذِّب الظالمين في الآخرة أيضاً، كقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾^(١)، حيث أكدت على أن عقاب الظالمين يبدأ من لحظة خروجهم من الدنيا بفعل الظلم الذي ارتكبوه. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِن عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾^(٢)، وويل اسم حفرة من حفر النيران، أو هو من الأمكنة الموجودة في جهنم، والمعدة لمن يظلم الآخرين، فيناله عذاب يوم أليم. أيضاً قال ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(٣)، وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾^(٤)؛ جميع هذه الآيات تدلّ على عذاب الظالمين يوم القيامة.

وعليه؛ فحينما يلقي الإنسان نظرة إجمالية على القرآن الكريم، يجد أن الآيات تُشَدِّد على إنَّ الظلم منشأ لنزول العذاب الإلهي في الحياة الدنيا من جهة، وابتلاء الظالم بأشدّ أنواع العذاب في الآخرة من جهة ثانية. هذا فيما يتصل بالظلم في القرآن. وأما في مجال الروايات، فقد ورد عن الرسول الكريم ﷺ، أنه قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّهُ ظَلَمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥)، مضافاً إلى عدد كبير من الروايات الأخرى التي لا تُريد سردها هنا.

الإصلاح الحسني: ما تفضّلتم به يختص بحرمة الظلم في القرآن الكريم والروايات، يا ترى ما هي نظرة العقل تجاه الظلم؟

السَّيِّعُ مُحَمَّدٌ بْنُ جَرَّادٍ فاضل النُّكْرَانِي: إنَّ دائرة قبح الظلم تشمل العقل أيضاً، فحينما

(١) الأنعام: آية ٩٣.

(٢) الزخرف: آية ٦٥.

(٣) غافر: آية ٥٢.

(٤) الكهف: آية ٢٩.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٣٢.

نراجع العقل نجد أنه يحكم بقبح الظلم مطلقاً دون استثناء. ومن هنا؛ فالقرآن والسنة النبوية الشريفة والعقل جميعها تحكم بقبح الظلم وحرمة؛ فإن قبح الظلم أمر فطري، يستقل به كل عاقل سليم، ولذا عُدَّ من المستقلات العقلية، أي: من الأمور التي لا تحتاج إلى بيان؛ لأنه مورد اتفاق جميع العقلاء، إذ إنه من البديهيات التي يدركها العقل العملي، كما أن الحكم في هذه القضية غير معلول للشرع، بمعنى أن العقل يدرك ذلك القبح سواء وُجد الشرع أم لم يوجد.

نعم، الشرع المقدس يؤكد ذلك الحكم ويُرشد إليه، ولولا إدراك العقل لقبح الظلم لاختلت جميع الأنظمة البشرية.

الأضلاع الحسني: ما هي حدود حرمة الظلم وقبحه، وما هي الموارد التي تشملها هذه الحرمة؟

الشيخ محمد حماد فاضل النكراني: يمكنكم ملاحظة مدى عظمة الدين الإسلامي؛ إذ يجرّم فيه ظلم الكفار أيضاً، وإنّا نُشير إلى هذه النقطة الهامة، لبيان موقف الإسلام من الظلم، وأنّه لا يُجيز ظلم أحد من الناس حتى الكافرين. وفي هذا الإطار، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ ظُلْماً، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ». كما ورد في الجامع الحديثية عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ أَوْحَى إِلَى نَبِيٍِّّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، فِي مَمْلَكَةِ جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَّارِينَ، أَنْ آتِ هَذَا الْجَبَّارَ، فَقُلْ لَهُ: إِنِّي لَمْ أَتَعْمَلْكَ عَلَى سَفْكِ الدِّمَاءِ، وَاتِّخَاذِ الْأَمْوَالِ، وَإِنَّا اسْتَعْمَلْتُكَ لَتَكْفَ عَنِّي أَصْوَاتَ الْمَظْلُومِينَ، فَإِنِّي لَمْ أَدْعُ ظُلَامَتَهُمْ وَإِنْ كَانُوا كَفَّاراً»^(١)، فهذا تأكيد من الإمام الصادق عليه السلام على عدم قبول الإسلام بالظلم للكفار أيضاً.

بل نذهب إلى أكثر من ذلك، فعند مراجعة الروايات نرى أن الظلم غير جائز حتى

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٣٣.

بالنسبة إلى الحيوانات والأمكنة. فقال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الخصوص: «اتقوا الله في عباده وبلاده؛ فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»^(١)، فالظلم حرام مطلقاً، حتى بالنسبة إلى الكفار والحيوانات، والأمكنة والبقاع.

الأضلاع الحسني: بعد هذه الإفادة القيّمة عن حرمة الظلم وقبحه، كيف لنا أن نتصوّر حرمة ظلم أهل البيت عليهم السلام، ولا سيّما الإمام الحسين عليه السلام؟ وهل هناك أدلة خاصة على ذلك؟

الشيخ محمد باقر فاضل النكري: كما أنّ لدينا آيات وروايات بشأن قبح الظلم بصورة عامّة، كذلك لدينا روايات حول النهي عن ظلم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله على وجه الخصوص، منها: ما رُوي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِي، وَعَلَى مَنْ قَاتَلَهُمْ، وَعَلَى الْمُعِينِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى مَنْ سَبَّهُمْ؛ أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^(٢). ويتضح من خلال ذلك أنّ لدينا روايات نبويّة تُؤكّد على حرمة ظلم أهل البيت عليهم السلام على وجه التحديد، بل إنّ الحرمة فيها شديدة.

وفيما يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام، فقد تعرّض هو وأولاده وأصحابه إلى أبشع أنواع الظلم على مرّ التاريخ، وربما لن يتكرّر مثل هذا الظلم، ولم تشهد له البشرية مثيلاً. فقد وردت رواية حول رأي رسول الله صلى الله عليه وآله في الظلم الذي تعرّض له سيّد الشهداء عليه السلام، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «كَانَ الْحُسَيْنُ عليه السلام مَعَ أُمِّهِ تَحْمِلُهُ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله، وَقَالَ: لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلَكَ، وَلَعَنَ اللَّهُ سَالِبَكَ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ الْمُتَوَازِينَ عَلَيْكَ، وَحَكَّمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَعَانَ عَلَيْكَ. قَالَتْ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام: يَا أَبَتِي، أَيُّ شَيْءٍ تَقُولُ؟

(١) محمد عبده، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٨٠.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٣٧.

قال: يا بنتاه، ذكرتُ ما يُصيبه بعدي وبعذك من الأذى والظلم»^(١). فترون أنّ النبي ﷺ ذكر مظلوميّة الإمام الحسين عليه السلام عند ولادته، وأخبر ابنته أنّ هذا سيكون بعده وبعدها، هذا فيما يتصل بكلام الله ورسوله حول الموضوع.

وثمة روايات أخرى يمكن متابعتها في هذا الباب، منها خطاب الإمام الحسين عليه السلام للأعداء إبان المواجهة: «أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عُتاتكم وطغاتكم وجهّالكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حياً»^(٢)، فهي تحمل دلالات أبرزها: لماذا تظلمونني وتظلمون أهل بيتي؟

وكذا الرواية التي حذّر فيها آل أبي سفيان قائلاً: «ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم»^(٣)، وهي تعني أنّكم نبذتم الحرية، وصرتم تطلبون الظلم. وكذلك الرواية الأخرى المأثورة عنه: «النّاس عبيد الدنيا، والدين لَعَقٌ على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معاشهم، فإذا مُحْصُوا بالبلاء قلّ الديّانون»^(٤)، والرواية الأخرى التي خاطب فيها الإمام الحسين عليه السلام أمّ سلمة بالقول: «يا أمّاه، قد شاء الله ﷻ أن يراني مقتولاً مذبوحاً، ظلماً وعدواناً»^(٥)، فنرى أنّ الإمام عليه السلام بنفسه استدل بعنوان الظلم، مشدداً على أنّ القوم سيقتلونه ظلماً وعدواناً.

وفي حديثه مع ابن عباس، قال له: «هيهات هيهات يا بن عباس، إنّ القوم لن يتركوني، وإنّهم يطلبونني أين كنت، حتى أبايعهم كرهاً ويقتلونني، والله، إنّهم ليعتدون عليّ كما اعتدت إليهود في يوم السبت، وإنّي ماضٍ في أمر رسول الله ﷺ حيث أمرني، وإنّا

(١) الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ١٧١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٣٨٣.

(٥) المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٣٣١.

لله وإِنَّا إِلَيْهِ راجعون»^(١).

وفي رواية مُهمّة أخرى، قال الإمام محمد الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم: «إِنَّ الحسين صاحب كربلاء قُتل مظلوماً مكروباً، عطشاناً لهفاناً، فآلى الله ﷻ على نفسه أن لا يأتيه لهفان، ولا مكروب، ولا مُذنب، ولا مغموم، ولا عطشان، ولا مَنْ به عاهة، ثمّ دعا عنده، وتقرّب بالحسين بن علي عليه السلام إلى الله ﷻ، إلّا نفس الله كربته، وأعطاه مسألته، وغفر ذنبه، ومدّ في عمره، وبسط في رزقه»^(٢).

وقال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام للريان بن شبيب: «يا بن شبيب، إِنَّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال؛ لحرّمته، فما عرفت هذه الأُمة حُرمة شهرها، ولا حُرمة نبيها ﷺ، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً»^(٣).

وهكذا حتى يصل الأمر إلى الإمام الحجة المنتظر عليه السلام، حيث ورد عن أبي الجارود في ذيل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤)، إِنَّ الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام، قال: «هذه لآل محمد، المهدي وأصحابه، يملّكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويُظهر الدين، ويُميت الله ﷻ به وبأصحابه البدع والباطل، كما أُمات السفهة الحقّ، حتّى لا يُرى أثر من الظلم»^(٥).

بمعنى أنّ فلسفة ظهور إمامنا الحجة بن الحسن عليه السلام، وأحد الأهداف المُهمّة لخروجه في آخر الزمان هي رفع الظلم، وقتل الظالمين، فضلاً عن إحياء الدين، وبسطه في أرجاء المعمورة، فعبر الإمام عن ذلك بقوله: «حتّى لا يُرى أثر من الظلم».

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٨٩.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٠٢.

(٤) الحج: آية ٤١.

(٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٤، ص ١٦٦.

وهذا نكون قد بينا الظلم في قضية الإمام الحسين عليه السلام من القرآن والروايات، وأثبتنا أنّ هذه القضية واضحة وجلية جداً؛ ولذا أكد الأئمة الأطهار عليهم السلام، على أنّ هناك ظلماً كبيراً وقع على الإمام الحسين عليه السلام.

الإصلاح الحسيني: من وجهة نظركم هل أنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام لها جذور قرآنية؟

السيد محمد جواد فاضل النكراني: من وجهة نظري أنّ مظلومية الإمام الحسين عليه السلام لا تنحصر بالدليل الروائي، وإنّما لها أساس قرآني أيضاً.

وهذا ما صرح به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأكد عليه الأئمة الأطهار عليهم السلام، فيتبين من كلماتهم كم أولوا عناية كبيرة بهذا الأمر.

فلاحظوا على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(١)، كما وردت رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام، حول مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا، فقال الحسين: «فلا يسرف في القتل، إنّ كان منصوراً، قال: سمّى الله المهديّ المنصور كما سمّى أحمد، ومحمّد، ومحمود، وكما سمّى عيسى المسيح عليه السلام»^(٢).

وجاء في رواية أخرى في ذيل هذه الآية، أنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام، قال: «هو الحسين بن علي عليه السلام، قُتلَ مَظْلُومًا، ونحن أولياؤه، والقائم منّا، إذا قام طلب بثأر الحسين عليه السلام، فيقتل حتى يُقال: قد أسرف في القتل»^(٣).

ومن هنا؛ بوسعنا أن نقول: إنّ أوّل مصداق من المصاديق التي يمكن تطبيقها على هذه الآية الشريفة بحسب ما ورد في الروايات، هو الإمام الحسين عليه السلام الذي قُتلَ مَظْلُومًا.

(١) الإسراء: آية ٣٣.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥١، ص ٣٠. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ٢٤٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢١٨.

الإصلاح الحسيني: هل فعلاً أثرت المظلومية كما أرادها الإمام الحسين عليه السلام على

المستوى القريب أو البعيد؟ وما هي الشواهد على ذلك؟

السيد محمد جواد فاضل النكراني: نعم، لقد كان لمظلومية الإمام الحسين عليه السلام أثر

كبير؛ لأنّ الحادثة التي تنطوي على مظلومية لها تأثير ووقع كبير في زمن حصولها، وفي الأزمنة اللاحقة أيضاً.

وعندما نراجع الآيات والروايات نجد أنّها تؤكد على أنّ للظلم تأثيراً واسعاً وسريعاً، ومن الروايات التي أشارت إلى أهمية آثار الظلم، ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من دنيا المظلوم»^(١)، كما ورد في جملة من الروايات أنّ «الظالم ملوم»^(٢)، «الظلم وخيم العاقبة»^(٣)، «شيئان لا تسلم عاقبتهما: الظلم، والشر»^(٤)، «الظلم في الدنيا بوار، وفي الآخرة دمار»^(٥)، «إيّاك والظلم؛ فإنّه أكبر المعاصي»^(٦)، «الظلم يطرد النعم»^(٧)، «...والذنوب التي تُنزل النقم: الظلم»^(٨)، كلّ هذا ورد بشأن قبح الظلم.

لقد شدّدت الروايات على أنّ الله عزّ وجلّ يستجيب لدعاء المظلوم بسرعة؛ وذلك يدلّ على أهمية موضوع الظلم. قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «كان أبي يقول: اتّقوا الظلم؛ فإنّ دعوة المظلوم تصعد إلى السماء»^(٩)، وفي رواية أخرى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٣٢٦.

(٢) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٧.

(٣) المصدر السابق: ص ١٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٩٧.

(٥) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٢، ص ١٧٧٠.

(٦) الليثي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٩٧.

(٧) المصدر السابق: ص ١٨.

(٨) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٤٨.

(٩) المصدر السابق: ج ٢، ص ٥٠٩.

«إياكم ودعوة المظلوم؛ فإنّها تُرفع فوق السحاب حتى ينظر الله إليها، فيقول: ارفعوها حتى أستجيب لها»^(١).

فيتضح أنّه لو أدّت حادثة ما إلى تعرّض جماعة من الناس إلى الظلم والاضطهاد، فإنّ ذلك سيترك تأثيراً عميقاً في قلوب الناس، خذ على ذلك مثلاً: ما لو طال الظلم في زماننا هذا شخصاً ما - وإن كان كافراً - في أيّ بقعة من بقاع الأرض، فإنّ كلّ من يسمع بذلك الظلم لن يطيق ذلك، فما بالك لو كان المظلوم مسلماً، أو كان إمام المسلمين؟! من الخصائص الذاتية للظلم، أنّه لا يبقى محصوراً في دائرة عمل الظالم فقط، بل إنّ الظالم نفسه يؤاخذ بشدّة. وفي قضية عاشوراء نجد أنّ من طلبوا الدنيا ونشدوا الحكومة لم يحصلوا على شيء من ذلك، بل إنّ قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه كان مصيرهم القتل بأبشع صورة، وهذا أحد الآثار المترتبة على ظلمهم، وإن كان أثراً مؤقتاً مختصاً بذلك الزمان.

وبمرور الوقت نرى آثار النهضة الحسينية ماثلة أمامنا، فتورة الإمام الخميني عليه السلام في إيران - وتأسيس الجمهورية الإسلامية - ما هي إلّا إحدى بركات ثورة عاشوراء. فلما أراد الشعب الإيراني التّأسي بثورة عاشوراء بنحو من الأنحاء، والعمل بالمأثور من الزيارة: «يا ليتني كنت معكم فأفوز معكم»، وتطبيقه على أرض الواقع، فنزل إلى الساحات والميادين؛ للدفاع عمّا قُتل الإمام الحسين عليه السلام من أجله، ألا وهو الدين الإسلامي، فكانت الثمرة هي هذه الثورة الإسلامية.

لاحظوا ما يقوم به حزب الله في لبنان، وما يجري في فلسطين والعراق، فمن يكون مستعداً للتضحية بنفسه في سبيل بقاء الدين، إنّما يسير تحت لواء الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ إنّ راية الإمام هي راية المظلومية، فكُلّ من يريد أخذ حقّه، يستطيع الانضواء تحت هذه الراية، والاستفادة من هذا العنوان، من أجل استرداد ذلك الحقّ المسلوب.

(١) المصدر السابق.

وعليه؛ فالإمام الحسين عليه السلام كان بصدد نشر الدين الإسلامي، ولولا واقعة عاشوراء، لما بقي للإسلام من أثر، فنحن نعتقد أنّ بقاء الدين الإسلامي كان رهناً بثورة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا هو معنى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «حسين منّي وأنا من حسين»^(١).

الإضلاع الحسيني: أين نُصنف المظلوميّة؟ هل نُصنفها في سلسلة أهداف الثورة الحسينية أم أساليب تحقيق الأهداف؟ وبعبارة أخرى: المظلوميّة هدف أم منهج؟

الشيخ محمد حماد فاضل البكراني: من الواضح - في ضوء الكلام المتقدّم - أنّها ليست بهدف، وإنّما هي منهج، بل أقوى وأبرز منهج موجود. فلا غرو أنّ مَنْ يُريد إثبات صواب ما يدعو إليه لا بدّ من أن يستفيد من أبرز الأساليب والمناهج، والمظلوميّة تأتي في هذا السياق. ينبغي أن تلتفتوا إلى أنّ الظلم الذي تعرّض له الإمام لم يقتصر على قتله، ولا على بقاءه هو وأصحابه عطاشى، بل حتى الطفل الرضيع الذي لم يكن عمره يتجاوز ستة أشهر، ذبحه حرمة بسهم من الوريد إلى الوريد، وقتل أولاد الإمام، وأهل بيته وأصحابه، في غضون نصف يوم، حتى بقي الحسين عليه السلام وحيداً، ولم ينته الأمر عند هذا الحدّ أيضاً، فالأعداء لم يتركوا الإمام حتى بعد مقتل كلّ مَنْ كان معه، وكان بوسعهم أن يقولوا: فلنتركه إذ لم يبقَ معه أيّ ناصر، لكنّهم عمدوا إليه وقتلوه، بل - وبحسب ما بلغنا في الروايات الواردة في هذا المجال - فصلوا رأسه عن جسده بشكل فظيع (ذبح كما يُذبح الكبش)، بل لم يرافوا به حتى بعد القتل؛ حيث داسوا على جسده الطاهر - وأجساد أولاده، وأصحابه - بحوافر الخيل، ولم يكتفوا بهذا القدر من الظلم أيضاً، فنزعوا الأقرط من أذن طفلة الصغيرة، وتسببوا بجرحها، وسلبوه ثيابه، وأضرّمو النار بالحليم. أريد أن أقول: لم يبقَ نوع من أنواع الظلم المختلفة يمكن تصوّره إلّا وارتكبه بنو أميّة ويزيد بحقّ الحسين الشهيد عليه السلام، فضلاً عن سبي عياله، وأسرهم والطواف بهم في البلدان، وهو من أشدّ أنحاء الظلم،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١١٦.

علماً أنّ الإمام عليه السلام كان على علم ودراية بهذا الظلم.

وحيث إنّ الحسين وأهل بيته عليه السلام كابدوا كلّ أشكال الظلم والجور، فقد أفضى ذلك إلى تخليد هذه الحادثة في التاريخ، كما أنّ ذلك أدى إلى تكشف أبعاد هذه الواقعة بمرور الزمن، ففي كلّ مدّة زمنية تتجلى أبعاد جديدة من نهضة الإمام الحسين عليه السلام، بل أرى أنّه كلّما جاء محرّم في سنة من السنوات، ينكشف للناس بُعد جديد من أبعاد هذه النهضة الخالدة، وتتجلى حقيقة أخرى من حقائق نهضة عاشوراء.

والنتيجة المستفادة من البحث أنّه على فرض أنّ الإسلام لم يتحدّث عن قبح الظلم، فإنّ العقل يحكم بقبحه بلا شك، لكنّ الإسلام شدّد على حرمة الظلم في الدنيا، وكشف النقاب عن آثاره في الآخرة، كما أنّ النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله، حذّر من ظلم أهل بيته على ما أشرنا إليه سابقاً، وعلى الرغم من ذلك، جاء من يدّعي الإسلام وارتكب - باسم الإسلام - أبشع أنواع الظلم بحقّ عترة المصطفى صلى الله عليه وآله.

أودّ أن أقول: مع قطع النظر عن موضوع رأي الإمام الحسين عليه السلام بعدم شرعية حكومة يزيد، وصواب رأي الإمام عليه السلام في هذا الخصوص، والإغضاء عن رفضه مبايعة يزيد، مع أنّ عبد الله بن عمر كان مخالفاً للبيعة في بادئ الأمر كذلك، غير أنّه لم يتعرّض إلى مثل هذا الظلم، وكذا الحال بالنسبة إلى عبد الله بن الزبير كما يبدو، ولكن انصبّ كلّ هذا الظلم على الإمام الحسين عليه السلام، ما جعل وجوه بني أميّة مسوّدّة في الدنيا والآخرة، فلا ينظر لهم الله يوم القيامة ولا يكلمهم؟ هذا بحث إجمالي حول الموضوع، ونأمل بتوسيعه وزيادة أبعاده إن شاء الله.

الإصلاح الحسنيّ: تُثار هذه الأيام شبهة تقول: إنّهُ ليس من الصحيح أن تُؤكّد على

المظلوميّة؛ لأنّها تتنافى مع عزّة الإمام الحسين عليه السلام وكرامته، كيف نردّ هذه الشبهة؟

الشيخ محمد باقر فاضل النكراني: يتبيّن ممّا ذكرنا أنّ للمظلوميّة جهة سلبية تتنافى

مع كرامة الإنسان، وذلك فيما لو فعل المظلوم ما يوجب استقواء الظالم، كما لو خنع المظلوم للظلم، وعزم على ترك المقاومة، فهذا من شأنه تقوية الظلم، وهذه هي الجهة السلبية التي أشرنا لها.

وهذا قبيح؛ لأنَّ المظلوم بسكوته سيُسهم في إخفاء هدفه عن الشعوب والأمم، ما يعني أنَّه ينبغي على المظلوم العمل على نقل أهدافه إلى الأجيال القادمة من زاوية المظلومية؛ لأجل تنبيه الناس إلى الواقع والحقيقة. وهنا تكمن الجهة الإيجابية للمظلومية؛ إذ لا تتعارض مع الكرامة الإنسانية وحسب، بل إنها من فروع الكرامة الإنسانية، فالكرامة هي أن يتفانى الإنسان، ويضحّي بنفسه في سبيل الله، وبغية إحياء الدين. هذه المظلومية عين الكرامة، ولا تتنافى معها مطلقاً.

الإصلاح الحسيني: تُثار في الوقت الحاضر شبهة مفادها: إنَّ التأكيد على عامل المظلومية، هو تحذير للحركة الشيعية؛ لذا لم يرتقِ الشيعة على المستوى الاجتماعي، والسياسي، والفكري، إلى التأثير والإبداع. كيف نردّ هذا الكلام؟

السَّيِّحُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ فَاضِلُ النُّجَرَانِي: الأمر على النقيض من ذلك؛ فإنَّ التأكيد على المظلومية يشعل قلوب الشباب، ويُلهب مشاعر الأمّة والأجيال المختلفة. وبعبارة أخرى: إثبات المظلومية أحد أسباب إثارة الحماس لدى الناس، وذلك بأنَّ نقول للشريحة الشابة: إنَّ الإمام الحسين عليه السلام، قُتل مظلوماً بأشدّ أنواع الظلم، أي: ظُلم حينما كان يُريد الدفاع عن الإسلام.

فالفرد الشيعي عندما يرى أنَّ إمامه قد جرى عليه من الظلم - والويلات والمآسي - ما لم يجرِ على أحدٍ قبله، كلَّ ذلك كان في سبيل وقوفه ضدَّ الظلم، ومقارعته للطواغيت، حينئذٍ سيكون ذلك من أقوى الدوافع، وأشدَّ المرغبات له للقيام بالثورات، وتقديم التضحيات دفْعاً للظلم، أسوة بإمامه وقدوته؛ لذلك نرى أنَّ



الثورات توالى تباعاً بعد مقتل الحسين عليه السلام، كلّها تُنشد وتترنّم باسم الحسين عليه السلام،
وما وقع عليه من ظلم.

وعلى هذا الأساس؛ فالتركيز على المظلومية لا يوجب تحذير الشيعة، بل هو
تقوية لعزمهم إن شاء الله.

الإصلاح الحسيني: سماحة الشيخ، نشكركم على إتاحة هذه الفرصة لمجلتنا، مجلة
الإصلاح الحسيني.

الشيخ محمد جواد فاضل النكراني: أهلاً ومرحباً بكم، وأتمنى لكم المزيد من التألق
والنجاح والموفقية.

